

تقديم مركز نهوض للدراسات والبحوث

عُنيت كتب علوم القرآن بتاريخ المصحف الشريف، جمعًا وتدوينًا وتنقيطًا وإعجابًا ورسومًا، وأفرد بعض المصنفين القدامى كتبًا خاصّة تتناول جمع المصحف وحيثيات تدوينه ونشره في الأمصار. كما أورد علماء القراءات والرسم القرآني ملاحظاتٍ قيّمة حول تطوُّر خطوط كتابة المصحف، وما وقع من اختلافٍ في بعض اختيارات النسخ في رسم الحروف. إلّا أن ضياع قدرٍ كبيرٍ من المخطوطات الأولى قد حجب الدارسين عن متابعة التطوُّر الحاصل في مخطوطات المصاحف، باستثناء ملاحظاتٍ متناثرة أوردتها العلماء الأوائل. أما في الدراسات الغربية، فقد شهدت بواكير الدراسات الاستشراقية تجنيًا كبيرًا في حقِّ الدراسات القرآنية عمومًا، وإهمالًا كبيرًا لدراسة المخطوطات القرآنية، وذلك نتيجة التجربة اليهودية-المسيحية مع الكتاب المقدّس، الذي يُظهر تاريخه من الانقطاعات والتحويلات والتغيّرات ما يدفع الباحثين إلى الجزم بضياع نسخته الأصلية الإلهية وانحراف كَلِمه عن مواضعه. وهكذا دأب المستشرقون الأوائل على التشكيك في وجود نسخٍ دقيقةٍ محفوظة من المصحف الشريف تعود إلى القرن الأول الهجري، مما دفع بعضهم إلى افتراضاتٍ متسرّعة تقول بوجود فجواتٍ تاريخية سابقة على تدوين المصحف الشريف.

أما اليوم، فإن توافر المخطوطات وتطوُّر آليات دراسة عُمر المخطوطات وعلم تطوُّر الخطوط قد سمح للدارسين بتقديم تاريخٍ أوفى وأكثر دقّة، يستند إلى الوثائق المادية المبكّرة. وأولى نتائج هذا البحث هي تقرير الحفظ الإلهي للنص القرآني كما تنزّل على صاحب الرسالة عليه أفضل الصلاة والتسليم.

إلّا أن البحث التاريخي الذي يجريه مؤلّف هذا الكتاب لا يقف عند هذه الحقيقة المعلومة لكل مسلم، بل يأخذنا في رحلة مشوّقة في تاريخ المخطوطات القرآنية المبكّرة، التي تعود إلى العصر الأموي، وربما إلى ما قبله، فيدرس أساليب الكتابة، وإعجام الحروف، واختلاف شكل الحروف بحسب الأقاليم وأعراف النسخ. كما

يستقرئ من المخطوطات الأولى أنواع المواد المستعملة، من أحبار وأصبغ وأوراق وما شاكلها، وتطوّر فنون الكتابة جيلاً بعد جيل.

وهذا الكتاب الممتع، والمفيد للباحثين في علوم القرآن وعلوم المخطوطات القديمة، يأتي من أحد ألمع أساتذة علوم المخطوطات القرآنية وعلوم الكتابة القديمة عموماً، وهو فرنسوا ديروش، أستاذ كرسي دراسة «تاريخ النص القرآني ونقله» في الكوليج دي فرانس، والذي حملته شغفه البحثي بهذه المخطوطات إلى جولة واسعة في مكتبات أوروبا وإسطنبول وصنعاء وغيرها.

ويعقد المؤلف مقارنات بين العديد من المخطوطات القرآنية المبكرة، وما مرّ بها من تغييرات كبيرة في حقبة زمنية وجيزة، من قبيل الأسلوب المتبع في إخراج الصفحة وتسطيرها وزخرفتها، وكذلك الخط المستخدم في كتابة النص القرآني، فضلاً عن إعداد المادة التي يُكتب النصُّ عليها من رَقٍّ أو كاغِدٍ وغيرهما. وبالإضافة إلى هذا، أفردَ بالتحليل بعضَ أهم المخطوطات المبكرة، مثل المصحف الباريسي الذي تناوله في فصل مستقل، مؤكداً -بمختلف أساليب التحليل التاريخي والنظر في أوراقه والأسلوب الخطي الذي كُتب به- نسبته إلى العصر الأموي، وأنه من أقدم المخطوطات القرآنية.

وقد جاءت ترجمة هذا الكتاب ترجمة متخصصة على يد الدكتور حسام صبري، عضو هيئة التدريس بقسم الدراسات الإسلامية باللغة الإنجليزية بكلية اللغات والترجمة، جامعة الأزهر، لتقدّم النصَّ بحلّة بهيئة وعبارة دقيقة، وتثريه بهوامش تزيد النصَّ الأصلي جلاءً وغنىً.

يأتي هذا الكتاب في سياق عناية مركز نهوض للدراسات والبحوث باستكشاف المناهج البحثية الجديدة في حقل الدراسات الإسلامية والتاريخية، ورغد المكتبة العربية بالإصدارات البارزة في حقول الدراسات العربية، التي تستثمر التقاطعات بين العلوم الاجتماعية والدراسات الشرعية، وقد أصدر المركز في هذا السياق جملةً من الإصدارات، منها: كتاب «إعادة اكتشاف التراث الإسلامي: كيف غيرت ثقافة الطباعة والتحقيق عالمنا الفكري؟» لأحمد الشمسي، وكتاب «أنثروبولوجيا الفقه

الإسلامي: التعليم والأخلاق والاجتهاد الفقهي في الأزهر» لأريا نكيسا، وكتاب «قال رسول الله: شرح الحديث في ألف عام» لجويل بليشر، وغيرها. كما يأتي إصدار هذا الكتاب ضمن عناية مركز نهوض بالدراسات القرآنية، حيث سيصدر المركز ترجمةً متخصصةً لكتاب «مرجع أكسفورد في الدراسات القرآنية» (٢٠٢٠م)، بإشراف وتحرير الأستاذين مصطفى شاه ومحمد عبد الحلیم.